الألفة السياسية فی عصر الرسول(ص)
ودورها فی السلام العالمی

نبیل الیعقوب[1]

چکیده مقال

تعتبر الألفة السياسية من أبرز المفاهيم السياسية المنبثقة من القرآن الكريم، ومن أهم الأهداف التی يتطلع الإسلام لتحقيقها فی المجتمعات السياسية، ومن أعظم النعم الإلهية والمعطيات الإسلامية التی تحققت بجهود النبی الأعظم(ص) بين أبناء المجتمع الجاهلی فی صدر الإسلام. إنَّ مفهوم الألفة السياسية يتحقق عندما تتقارب القلوب، وفی مثل هذه الحالة تكون التعاليم الدينية القائمة على أساس القرآن الكريم أفضل وسيلة لإيجاد الألفة وارتباط القلوب. وكان رسول الله(ص) الواسطة لهذه التعاليم والأمين عليها والمبعوث بها من قبل الله تعالى، عن طريق الوحی الإلهی المتمثل بالقرآن الكريم، فالرسول(ص) يبلغ رسالات الله، والله تعالى يسدده، قال تعالى: «وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْکَ مِن رَّبِّکَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» ومن مصاديق ذلک الألفة السياسية التی

---

۱. دکتری علوم سیاسی

تحققت بين قبيلتى الأوس والخزرج على يدى النبى(ص) وكان له الدور الكبير فيها بتسديد من الله تعالى، قال سبحانه: «وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً» أما ضرورة التعرُّض لهذا الموضوع فهى تكمن فى كون الألفة السياسية من أهم السبل للوصول إلى المجتمع السياسى المطلوب وتحقيق السلام العالمى؛ لأنَّ الألفة السياسية من جملة أسباب الأمن والطمأنينة فى المجتمع. وبما أنَّنا نتمكن من تناول هذا الموضوع من وجهة نظر عصرية، يمكن أن يكون القرآن الكريم وما حققه النبى الأعظم(ص) فى هذا المجال نموذجاً مناسباً للبحث فيه.أنَّنا نحاول فى هذا المقال أن نبحث حول الألفة السياسية التى تحققت بجهود النبى(ص) ودورها فى تحقيق السلام العالمى من خلال الأسلوب الوصفى التحليلى، والمدعى هو أنَّ لهذه الألفة السياسية دوراً كبيراً فى تحقيق ذلك.

الكلمات الأساسية: الألفة السياسية، تقاربالقلوب، الأوس والخزرج، المجتمع المعاصر.

مقدمة

مصطلح الألفة السياسية من المصطلحات القرآنية التى لم تُستخدم فى القاموس السياسى إلا نادراً، مع أنَّه لا يمكن أن تنجح مساعى أى مجتمع خارج إطار الألفة السياسية ومفهومها ومبدئها؛ لأنَّ المجتمع إذا فقد قدرته على التوصل إلى التآلف بدأت الصراعات ونشب التنازع والتناحر، وأخذت عوامل التفرقة والتشتت بين أبناء البشرية سواء كان ذلك على صعيد الحكومات أو الشعوب.

فالألفة السياسية تلعب دوراً كبيراً فى تحقيق السلام العالمى؛ لأنَّها تنبذ العنف وتدعو إلى روح الأخوَّة والإنسجام والوحدة والتضامن بين أبناء المجتمع، ومعلوم أنَّ التاريخ يكشف لنا بأنَّ جميع الحضارات كانت توَّاقة من أجل تحقيق السلام العالمى، والسـّلام هو حالة الهدوء والسكينة، ومحاولة تجنب الحرب وأعمال العنف الحاصلة بين الشعوب المختلفة أو طبقات المجتمع المتباينة أو الدّول المتنافسة.

ولاشک أنَّ ديننا الإسلامى هو دين الألفة والتآلف والتسامح والمحبَّة والسلام، والسلام مبدأ من المبادئ التى عمَّق الإسلام جذورها فى نفوس المسلمين، وأصبحت جزءاً من كيانهم، وهو غاية الإسلام فى الأرض، فالإسلام والسلام يجتمعان فى توفير السكينة والطمأنينة، كما أنَّ رسول الله(ص) قد بُعث رحمة للعالمين وسلاماً للبشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور حتى يصل الناس جميعاً إلى أعلى مراتب الألفة والمحبَّة الإنسانية؛ لذلک أقدم النبى(ص) على إيجاد هذه الألفة بين المتخاصمين بعد أن شهدت العرب فى زمان الجاهلية حروباً كثيرة قبل البعثة وفى صدر الإسلام، حيث كانت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها أو مع القبائل الأخرى بسبب أو بدون سبب، وقد جاء الاسلام الحنيف ليخرج الناس من هذه الحياة السيئة والصعبة وينقلهم الى حيث الأمن والامان والسكينة، وكان الرسول(ص) حريصاً على إبعاد الناس تماماً عن الحروب وعن

كل ما يؤدى إليها، وكان(ص) أيضاً يبحث دائماً عن الطرق السلمية والهادئة للتعامل مع المخالفين له، وهذا ما فعله(ص) حينما هاجر من مسقط رأسه؛ مكة المكرمة إلى موطنه الأخير ومستقر دولته الدائم؛ المدينة المنورة، فكان من أوائل أفعاله، وأهم أعماله؛ الإصلاح بين الأوس والخزرج أبناء الوطن الواحد، والمؤآخاة بين المهاجرين والأنصار أبناء الدين الواحد.

بناء على ذلک يعتبر موضوع الألفة السياسية وأثرها فى تحقيق السلام العالمى من المواضيع المعاصرة التى تهم العالم الإسلامى خصوصاً، والعالم الإنسانى عموماً، لاسيما مع الحرب والعنف والإرهاب الذى أخذت تنتهجه المجاميع التكفيرية التى أوجدتها الدول الاستكبارية فى عالمنا المعاصر، وهذا ما دعانى لكتابة هذا المقال الذى يُسلط الأضواء على الألفة السياسية التى أوجدها النبى(ص) وأثرها فى إحلال السلام العالمى، وذلک من خلال الفصلين التاليين:

الفصل الأول: نظرة عامة على الألفة السياسية والسلام العالمى.

الفصل الثانى: الألفة السياسية فى عصر الرسول(ص) قبل البعثة.

الفصل الثالث: الألفة السياسية فى عصر الرسول(ص) بعد البعثة.

أسأل الله تعالى أن يوفقنى لخدمة الإسلام والمسلمين وبث روح الألفة والسلام على نهج من بعثه الله رحمة للعالمين«وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ».[1]

الفصل الأول

نظرة عامة على الألفة السياسية والسلام العالمى

الألفة لغةً واصطلاحاً

الألفة فى اللغة مصدر من باب علم، قال الراغب: كلمة «الإِلْفُ» بمعنى: اجتماع مع

---

١. هود/ ٨٨.

التئام، يقال: أَلَفْتُ بينهم، ومنه: الأُلْفَة. قال تعالى: «إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»آل عمران/١٠٣، وقال: «لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ»الأنفال/٦٣.[١]

قالَ الخَليلُ: أَلِفتُ الشَّيءَ آلَفُهُ، وَالأُلفَةُ مَصدَرُ الاِئتِلافِ. وَكُلُّ شَيءٍ ضَمَمتَ بَعضَهُ إلى بَعضٍ فَقَد أَلَفتَهُ تَأليفاً.[٢] وتألّف القوم: اجتمعوا وتحابّوا. وألّفت بينهم تأليفاً. «وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ» المستمالة قلوبهم بالإحسان والمودَّة.[٣]

أمَّا معنى الألفة الإصطلاحى فهو مشتق من معاناها اللغوى وهى تعنى: اجتماع مع التئام ومحبَّة، وميلان القلب إلى المألوف، واتّفاق الآراء فى المعاونة على تدبير المعاش.[٤]

السياسة لغة واصطلاحاً

السياسة فى اللغة تعنى تدبير شؤون الرعيّة وإدارة أمور المجتمع، كما صرّحت بذلك كتب اللغة، فقد جاء فى لسان العرب: (السوس: الرياسة، وساس الأمر سياسة: قام به). قال ثعلب:

سادةٌ قادةٌ لكلِّ جمْعٍ ساسةٌ للرجالِ يومَ القتالِ

وسُوِّس الرجل أمور الناس، إذ مُلِّك أمرهم. وفى الحديث: (كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياءهم). أى تتولى أمرهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية.[٥]

والسياسة فى الاصطلاح هى: (استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجى فى

---

١. الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد، المفردات فى غريب القرآن: ص٨١.

٢. أنظر: ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج١، ص١٣١.

٣. أنظر: مصطفوى، حسن، التحقيق فى كلمات القرآن الكريم: ج١، ص١٠٧.

٤. أنظر: عبدالله بن حميد، صالح، نضرة النعيم فى مكارم أخلاق الرسول الكريم: ج٢، ص٤٩٥.

٥. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب،: ج٦، ص١٠٨.

الدنيا والآخرة).[1] أو هى:(معرفة الأدوات السياسية المشروعة، وتوظيفها لإدارة المجتمع، وتأمين الرفاه المادى والمعنوى للناس).[2]

أو هى النشاط الاجتماعى الذى يؤدى إلى توطيد العلاقات الخارجية والداخلية ويؤدى إلى توفير الأمن الخارجى والتفاهم الداخلى.[3]

ومن هنا يمكن تعريف الألفة السياسية على أنَّها: الائتلاف الذى يؤدى إلى العلاقات المحلية أو الإقليمية أو الدولية التى تربط مجتمع بآخر من خلال العهود والمواثيق القائمة على أساس المبدأ أو العقيدة أو الإيمان، من أجل الصلح والتعايش السلمى.[4]

السلام لغة واصطلاحاً

السَّلام فى اللغة اسم مصدر من سلَّم يُسلِّم تسليماً، كالكلام والطلاق، وهو بمعنى النجاة والتخلُّص مما لا يُرغب فيه، قال ابن منظور: السَّلامُ فى الأصل: السَّلامةُ، يقال: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاماً وسَلامةً، ومنه قيل للجنَّة: دار السَّلامِ لأنَّها دار السَّلامةِ من الآفات.[5]

أمَّا السلام فى الاصطلاح فهو الحالة المقابلة للحرب والعنف، وهو كذلك سيادة أجواء الطمأنينة والسكينة والهدوء، عوضاً عن الخوف والقلق والاضطراب. والسلام هو الضد للخصام، والمفهوم المفارق للعنف اللفظى والجسدى سواء أكان ذلك بين الأفراد أم الجماعات والدول.[6]

---

١. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار: ج٤، ص١٧٨.

٢. الريشهرى، محمد، موسوعة الإمام على بن أبى طالب(ع) فى الكتاب والسنة والتاريخ: ج٤، ص١٣.

٣. أنظر: فروند، ژولين، سياست چيست؟: ص٢١٣.

٤. أنظر: التيجانى، عبدالقادر حامد، أصول الفكر السياسى فى القرآن المكى: ص١٤٥.

٥. أنظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب،: ج١٢، ص٢٩١.

٦. أنظر: أمين، إميل، دور الأديان فى سيادة مفهوم السلام العالمى: ص٧.

والسلام فی المصطلح القرآنی یأتی بعدَّة معانی:

الأول: یطلق ویراد به اسم الله عزَّ وجلَّ، قال تعالی: «هُوَ اللَّهُ الَّذِی لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِکُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ»؛[1] سُمِّی بذلک سبحانه لسلامته مما یلحق الخلق من العیب والنقص والزوال والانتقال والفناء والموت.[2]

المعنی الثانی: یطلق ویراد به السلامة من الإثم والإیذاء، وهو المعنی الأصل، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِینَ یَمْشُونَ عَلَی الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا».[3] أی: قولاً یسلمون فیه من مقابلة الجاهل بجهله.[4]

المعنی الثالث: یطلق ویراد به إلقاء التحیة، قال تعالی: «وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَی إِلَیْکُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا».[5]

المعنی الرابع: یطلق ویراد به الصلح والمهادنة، وضدَّه الحرب، ومنه قوله تعالی: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا».[6] ومنه قول الله تعالی:«فَإِنْ لَمْ یَعْتَزِلُوکُمْ وَیُلْقُوا إِلَیْکُمُ السَّلَمَ»،[7] أی: المهادنة والصلح والأمان.[8]

وبهذا یتبین لنا أنَّ السلام من الألفاظ المشترکة، والذی یحدد معناه إذا ورد هو السیاق، والسلام الذی نحن بصدد بحثه هو الذی بمعنی الإطلاق الرابع، وهو المراد عند إطلاقه فی العصر الحاضر، لاسیما فی وسائل الإعلام.

---

١. الحشر/٢٣.

٢. أنظر: الصدوق، محمد علی بن الحسین، التوحید: ص٢٠٥.

٣. الفرقان/٦٣.

٤.أنظر: الأردبیلی، أحمد بن محمد، زبدة البیان فی أحکام القرآن: ص٤٠٨.

٥. النساء/٩٤.

٦. الأنفال/٦١.

٧. النساء/٩١.

٨. أنظر: طنطاوی، محمد، التفسیر الوسیط للقرآن الکریم: ج٣، ص٢٥٣.

مفهوم السلام العالمی فی نظر الإسلام

إنَّ السلام العالمی فی نظر الإسلام یتجلی فی النظرة الإنسانیة الشاملة لکافة أفراد البشر سواء کانوا مسلمین أو غیر مسلمین، وهذه النظرة الإنسانیة المتکاملة تؤخذ بعین الاعتبار العلاقة بین الإنسان والإنسان الآخر علی أن بینهما صلة ونسباً، مهما اختلفت الأجناس والألوان والأصقاع، کما قال رسول الله(ص): (ألا إنَّکم ولد آدم، وآدم من تراب، والله لعبد حبشی أطاع الله خیر من سید قرشی عاص لله).[1] والدلیل علی ذلک قول الله عزَّ وجلَّ: «فَإِذَا نُفِخَ فِی الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَیْنَهُمْ یَوْمَئِذٍ وَلَا یَتَسَاءلُونَ».[2] وقوله تعالی: «یَا أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاکُم مِّن ذَکَرٍ وَأُنثَی وَجَعَلْنَاکُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا».[3] لذلک قال أمیر المؤمنین فی العهد الذی کتبه للأشتر النخعی لما ولاه علی مصر: (وأشعر قلبک الرحمة للرعیة والمحبَّة لهم واللطف بهم. ولا تکونن علیهم سبعاً ضاریاً تغتنم أکلهم، فإنَّهم صنفان إمَّا أخ لک فی الدین وإمَّا نظیر لک فی الخلق).[4] فهذه هی القیم الإنسانیة التی یدعو لها الإسلام من أجل تعمیق مبادئ السلام، وتأسیس القواعد الأساسی لتشید صرح السلام العالمی، والحقیقة الکونیة التی استحکمت أواصرها فی عصر الرسول الأعظم(ص) حین بدأ یؤالف بین الطوائف المتخاصمة، ویؤلف القلوب التی استفحلت علیها أفکار الجاهلیة والعصبیة، وأتعبتها أحقاد العداوة والبغضاء، وذلک من خلال منع الحروب الأهلیة والمحلیة والدولیة، والتصدّی للخرافات والخزعبلات والأضغان والأحقاد ونبذ الروح القبلیة والعنصریة والجاهلیة والهمجیة، وإیجاد السبل لإنقاذ البشریة من تلک الکارثة ونشر الأمن والسلام فی

---

۱. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۷، ص۲۳۹.

۲. المؤمنون/۱۰۱.

۳. الحجرات/۱۳.

۴. نهج البلاغة/الکتاب ۵۳.

ربوع العالم الإنسانى.

إنَّ الإسلام دين السلم والسلام والألفة والمحبَّة، وهذا ما حققه رسول الله(ص) حين هاجر إلى المدينة إذ ألَّف بين الأوس والخزرج بعد حروب طاحنة بينهم، فزادت محبتهم وانقطعت عداوتهم وصاروا بالإسلام إخواناً متحابين متسالمين، فكانت تلك نعمة سابغة امتن بها الله على المؤمنين ببركة النبى(ص) حيث قال(ص)(يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بى، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى).[1] فلقد تمكَّن الرسول(ص) من خلال دعوته التى نشرها فى مجتمع متناحر تسوده القسوة والخشونة، أن يحقق السلام والأمان فى هذه المنطقة المضطربة المتفرقة.

ومن يتتبع أحداث السيرة النبوية فى مكَّة أو المدينة المنورة ويدرس الجهود التى بذلها النبى(ص) فى الإصلاح والتأسيس والبناء للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية يجد أن من أبرز الخطوات التى قام بها(ص) هى تركيز مبادئ الألفة والسلام، ونشر القيم الإنسانية على ضوء ما حددته التعاليم الربانية لتنظيم حياة الإنسان، وطوال فتره حياته حرص(ص) على إرساء مبادئ الألفة والرحمة والتعاون والتسامح والتكاتف والعطف وحبِّ الخير والمساواة والمروءة ونبل الأخلاق والدعوة إلى السلم والسلام، فقد كان(ص) محترماً لمقدسات الآخرين ومراعياً للعهود والمواثيق التى بينه وبينهم لم ينتهك حرمة ولم ينكث عهداً، إلا حرمة من انتهك حرمات الله ورسوله، أو من أراد خيانته، وقد منح الله سبحانه رسوله الكريم من جمال الخلق والخلق ما يحببه إلى الخلق ويجعلهم يألفونه ويأنسون بمعاشرته والتعامل معه.

---

١. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص١٥٩؛ البخارى، محمد، صحيح البخارى: ج٥، ص١٠٤.

الفصل الثانی

الألفة السياسية فی عصر الرسول(ص) قبل البعثة

لم تقتصر الألفة السياسية فی عصر الرسول(ص) على زمان البعثة، بل أنَّ رسول الله(ص) واكب هذه النعمة التی أنعمها الله تعالى على قريش وشهدتها العرب فی زمان الجاهلية قبل بعثته(ص) أيضاً، وهذا ما أشار له القرآن الكريم من خلال السورة التی تعرَّضت للألفة بين قريش وحلفائها وهم أناس من العرب، أو بينها وبين غير العرب، فلقد أشار القرآن الكريم لهذه الألفة من خلال قوله تعالى: «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِی أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ».[1]

وللألفة السياسية التی نستنتجها من فحوى هذه السورة أثر كبير فی عملية إحلال السلام العالمی، وهذا ما سنتعرَّف عليه من خلال أجوائها والهدف الذی تتوخاه.

متعلق الإيلاف فی سورة قريش

علينا أن نعلم أولاً بأنَّ المفسرين واللغويون قد اختلفوا بمتعلق الإيلاف المذكور فی سورة قريش، وورود حرف اللام مع كلمة إيلاف، وهل أنَّ هذه السورة مستقلة أم متصلة بالتی قبلها، فقد قيل إنَّها متصلة بالتی قبلها فی المعنى، وأنَّ اللام فی قوله (لإيلاف قريش) يتعلق بقوله (كعصف مأكول) أی: فعلنا ذلک بهم لتأتلف قريش رحلتها.[2] واستدل الحافظ محمد بن أحمد الكلبی فی تفسير التسهيل على أنَّهما سورة واحدة حيث قال: (ويؤيد القول بأنَّهما سورة واحدة أنَّهما فی مصحف أبی بن كعب كذلک لا فصل بينهما، وقد قرأهما عمر فی ركعة

---

١. قريش/١ـ٤.

٢. أنظر: الطبرسی، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان فی تفسير القرآن: ج١٠، ص٤٥١.

واحدة من المغرب).[1] فتكون هذه السورة متصلة بالسورة الأولى؛ لأنَّ الله تعالى ذكَّر أهل مكَّة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة، ثمَّ قال لإيلاف قريش؛ أى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منَّا على قريش.[2]

وهذا الرأى وإن كان رأياً مُعتداً به وعلى قدر من الوجاهة لكون مضمون سورة قريش له نوع من التعلق بمضمون سورة الفيل لكن لا يمكن قبوله لعدَّة أسباب، البعض منها يتعلق بعدم دلالة الروايات على أنَّ السورتين مفصولتان فى المصحف أو فى الصلاة.[3] بالإضافة إلى الأسباب التاريخية الأخرى التى من جملتها أنَّ الإيلاف تاريخياً قد تمَّ لقريش قبل عام الفيل، ومنها أنَّ مجرد هلاك جيش أبرهة لا يؤدى لإيلاف قريش، ومنها أنَّ الغزو الحبشى كان يمكن أن يؤدى لإيلاف قريش لو أنَّ قريشاً كان لها دور إيجابى فى التصدَّى له، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، والذى حدث أنَّ قريشاً قد أخلت منطقة الحرم ولاذت بالجبال خوفاً من معرة الجيش.[4]

أما القول بأنَّ سورة قريش غير متصلة بسورة الفيل فهو القول الراجح فى رأينا، وهو القول المختار لجملة من الأعلام، فقد قيل أنَّها ليست بمتصلة؛ لأنَّ بين السورتين «بسم الله الرحمن الرحيم» وذلك دليل على انقضاء السورة وافتتاح الأخرى، وأنَّ اللام متعلقة بقوله تعالى: "فليعبدوا«أى فليعبدوا هؤلاء ربَّ هذا البيت، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتياز. وكذا قال الخليل: ليست متصلة، كأنَّه قال: ألَّف الله قريشاً إيلافاً فليعبدوا ربَّ هذا البيت.[5]

---

١. الغرناطى الكلبى، التسهيل لعلوم التنزيل: ج٢، ص٥١٤.

٢. أنظر: القرطبى، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى): ج٢٠، ص٢٠٠.

٣. أنظر: الطباطبائى، محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن: ج٢٠، ص٣٦٤.

٤. أنظر: التيجانى، عبدالقادر حامد، أصول الفكر السياسى فى القرآن المكى: ص١٤٤.

٥. أنظر: القرطبى، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى): ج٢٠، ص٢٠١.

وعلى الرأى المختار يكون المراد من الإيلاف العلاقات الدولية التى تربط قريشاً بغيرها سواءً فى ذلک الفرس والروم والحبشة أو القبائل المتحالفة معها، وهذه العلاقات هى علاقات سياسية اقتصادية، فقد كان هاشم يؤلف ملک الشام، والمطلب يؤلف كسرى، وعبد شمش ونوفل يؤلفان ملک مصر والحبشة، ويتعهد هاشم بمنح مبلغ من المال إلى رؤساء القبائل كأرباح، ويلتزم بنقل بضائعهم سوية مع بضائعه ويسوق إبلهم مع إبله؛ كى يريحهم من مشاق الرحلة ويريح قريشاً من خوف الأعداء، وكان فى تلک المصالحة فائدة للجانبين.[1]

إنعكاسات الألفة السياسية قبل البعثة على السلام العالمى

إنَّ الألفة السياسية المستوحاة من سورة قريش يمكن أن تنعكس بصورة إيجابية على إمكانية إحلال السلام العالمى وتوطيد الروابط السياسية والاقتصادية، باعتبار أنَّ هذه الألفة هى مصداق للعلاقات الدولية المبتنية على التعاهد والمصالحة التى تعود فوائدها على كافة الدول وتجنى ثمارها جميع شعوب العالم، وهو المستفاد من قوله تعالى:«فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ»؛[2] أى تحقق الرفاه الاقتصادى والأمن السياسى، وبما أنَّ هذه الألفة كانت ترتكز على وجود البيت الحرام باعتباره رمزاً لدين التوحيد الإبراهمى، وتجسيداً لقيم الغيب والإيمان بالإله الواحد بالرغم من أنَّ أغلب المجتمع القرشى لم يكن مجتمعاً موحداً وإيمانياً، فلابد أن ترتكز هذه العلاقات على الدين الخالص والقيِّم المبتنى على الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما أمرنا الله من خلال قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».[3] وعلى الألفة الإيمانية والعودة إلى

---

١. أنظر: التيجانى، عبدالقادر حامد، أصول الفكر السياسى فى القرآن المكى: ص١٤٥.

٢. قريش/٣ـ٤.

٣. الروم/٣٠.

كلمة التوحيد، التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا».[1]

الفصل الثالث

الألفة السياسية فى عصر الرسول(ص) بعد البعثة

بعد أن شهد رسول الله(ص) الألفة السياسية قبل الإسلام ببركة الدين الإبراهيمى الحنيف ووجود الكعبة المكرَّمة، ساهم هو بنفسه بشكل كبير فى إيجاد الألفة السياسية الإيمانية بعد البعثة، وذلك من خلال إيجاد التآخى بين قريش والقبائل العربية من جهة، وإيجاد الألفة بين القبائل العربية المتنازعة من غير قريش من جهة أخرى، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار، وألَّف بين قبيلتى الأوس والخزرج، بالإضافة إلى الألفة المادية التى اتخذها الرسول(ص) وسيلة لتأليف قلوب المؤلفة قلوبهم، من خلال إعطاء سهم من الزكاة للمسلمين وغير المسلمين.

والمؤلفة قلوبهم هم الذين كان النبى(ص) يتألفهم على الاسلام، والإمام يتألفهم ليستعين بهم على الأعداء.[2] ولو أننا دققنا فى مفهوم الألفة السياسية التى أشار لها القرآن الكريم وتحققت أبرز مصاديقها فى عصر الرسول(ص) لوجدنا أنَّ لها علاقة وطيدة بالسلام العالمى، ويمكن أن تلعب دوراً كبيراً فى إحلال هذا السلام، وهذا ما سنتطرق له فى هذا الفصل.

الألفة السياسية الإيمانية وانعكاساتها على السلام العالمى

كما أنَّ الألفة السياسية التى تحققت قبل البعثة لها دور بارز فى حثِّ الدول والحكومات والشعوب نحو تحقيق السلام العالمى، فإنَّ الألفة السياسية التى

---

١. آل عمران/٦٤.

٢. أنظر: الطريحى، فخر الدين، تفسير غريب القرآن: ص٣٨٥.

أنعمها الله تعالى على المؤمنين بجهود الرسول(ص) تلعب دوراً كبيراً فى تحقيق ذلک أيضاً، وهذا ما نجده فى التجربة التاريخية الفريدة التى حدثت نتيجة الألفة بين المهاجرين والانصار، فهى تعتبر مثل سام على عمق الألفة التى كانت بين المؤمنين، حيث أمرهم الله تعالى بالتمسک بحبله وترک التنازع والتناحر والتفرقة، ليعيشوا معاً متعاضدين متكافلين متآفلين، كما أخبرنا القرآن الكريم بذلک من خلال قوله سبحانه: «وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا».[1]

وهذه من مصاديق دعوة الإسلام للسلام العالمى، فالإسلام دين السلم والسلام، كما قال تعالى: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ»[2] وقال عزَّ وجلَّ: «وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».[3]

ثمَّ بيَّن الله تعالى معنى أمره بالتوكل فى حال قبول السلم إن جنحوا إليه على خلاف المعهود منهم اختياراً فقال: (وإن يريدوا أن يخدعوک) بجنوحهم للسلم، ويفترصوه لأجل الاستعداد للحرب، أو انتظار غرة تمكنهم من أهل الحق، (فإنَّ حسبک الله) أى كافيک أمرهم من كل وجه، وهذه الكفاية بالتأييد الربانى، وأنَّ منه تسخير المؤمنين للرسول(ص) وجعلهم أمَّة متحدة متآلفة متعاونة على نصره، وكان هذا بين الأوس والخزرج؛ أى الأنصار وفيهم نزل قوله تعالى: (وإذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً..)، فقد

---

١. آل عمران/١٠٣.

٢. البقرة/٢٠٨.

٣. الأنفال/٦١ـ٦٣.

ألّف الله تعالى بين الأوس والخزرج فكانوا بنعمته إخواناً بعد طول العداء والعدوان، وهذا لا يمنع إرادة مجموع المهاجرين والأنصار، فقد كانوا بنعمته إخواناً أيضاً فلم يقع بينهم تحاسد ولا تعاد بعد أن كان يقع التغاير بينهم عند قسمة الغنائم فى حنين فكفاهم الله شر ذلک بفضله وحكمة رسوله(ص).[1]

إذن فالألفة السياسية الإيمانية تعتبر منطلق للسلام العالمى الذى اتَّجهت نحوه قلوب الخَيِّرين من البشر عبر القرون، وأرشد له القرآن الكريم وأكَّدت عليه شريعة الإسلام، ووعدت به الكتب المقدَّسة للبشر على الدّوام عصراً بعد عصر، إنَّ هذا السلام العظيم هو الآن وبعد طول وقت فى متناول أيدى أمم الأرض وشعوبها، فالإسلام يتطلّع بمنظارٍ واحد إلى هذا الكوكب الأرضى بأسره بكل ما يحتوى من شعوب متعدِّدة مختلفة الألوان والأجناس. وهو لا يعتبر السلام العالمى ممكناً وحسب، بل إنَّه أمر لا بدَّ أن يتحقّق، فهو فى مقدمة الأهداف التى يتطلع لها الدين الحق، ومصداق لقوله سبحانه وتعالى: «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».[2]

الألفة السياسية المادية وانعكاساتها على السلام العالمى

لم يكتف الإسلام بالاعتماد على الجانب الروحى من حياة البشر، بل أنَّه أولى اهتماماً للجانب المادى فى الحياة الإنسانية أيضاً، وكذلک القرآن الكريم لم يهمل هذا الجانب فى تعاليمه وإرشاداته وأحكامه؛ لذلک أشار إلى الألفة السياسية المادية إلى جانب إشارته إلى الألفة السياسية الإيمانية، وذلک من خلال قوله تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ».[3]

والمؤلفة قلوبهم قوم كانوا فى صدر الإسلام ممن يُظهِر الإسلام، يتألفون بدفع

---

١. أنظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ج١٠. ص٧٨ ـ ٨٠.

٢. التوبة/٣٣.

٣. التوبة/٦٠.

سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم، سواء كانوا ممن أسلم من يهودى أو نصرانى وإن كان غنياً. أو صنف من الكفار يُعطون ليتألفوا على الإسلام. أو قوم أسلموا فى الظاهر ولم تستيقن قلوبهم، فيعطون ليتمكن الإسلام فى صدورهم. أو قوم من عظماء المشركين لهم أتباع يُعطون ليتألفوا أتباعهم على الإسلام. وهذه الأقوال متقاربة والقصد بجميعها الإعطاء لمن لا يتمكن إسلامه حقيقة إلا بالعطاء.[1]

ومن هنا كان تأليف القلوب باب للمودة والأخاء ومفتاح للسلام العالمى الذى يُنمِّى العلاقات بين الدول ويوجد الصلح والأمان، والمجتمع الإسلامى فى عصر الرسول(ص) حقق قمة الانتصار والمجد بتشريعه هذه الحكم الذى من شأنه التأليف بين قلوب كافة أبناء البشر؛ لأنَّه يحرص على أن تسود المصالحة والمحبَّة والإخوة والأمن بين الناس جميعاً، لا يفرّق بينهما عنصر أو لون أو لغة أو وطن وبين الطبقات بعضها وبعض فلا مجال لصراع، وهذا ما أراده الإسلام من خلال تخصيص مبلغ من المال من بيت مال المسلمين، لدفعه إلى غير المسلمين من المسؤولين وأصحاب الكلمة النافذة فى بلدانهم، سعياً لتأليف قلوبهم وتحقيق الغايات والأهداف العالمية السامية التى تصب لصالح السلام. فالمؤلفة قلوبهم فى الشرع هم من الفئات التى كانت تحظى بأموال الزكاة والصدقات فى عصر الرسول(ص). وهم أقسام ما بين غير مسلمين ومسلمين: فمنهم من يرجى بعطيته إسلامه أو إسلام قومه وعشيرته كصفوان بن أمية الذى وهب النبى(ص) له الأمان يوم فتح مكة، وأعطاه أموالاً كثيرة، حتى قال: حضرت حنينا وما أحد من الخلق أبغض إلىَّ منه فما زال يعطينى حتى ما كان أحد أحب إلى من الخلق.[2]

---

١. أنظر: القرطبى، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى): ج٨، ص١٧٩.

٢. أنظر: ابن العربى، محمد بن على، أحكام القرآن: ج٢، ص٤٦٥.

ومنهم من يُخشى شره ويرجى بإعطائه كف شره وشر غيره معه، كما روى ابن عباس أن قوماً كانوا يأتون النبى(ص) فإن أعطاهم من الصدقات مدحوا الإسلام وقالوا: هذا دين حسن، وإن منعهم ذموا وعابوا.[1]

خاتمة

لقد علمنا مما سبق أنَّ غالبية البشر ترغب فى السلام ومحاولة إحلاله كحالة طبيعية وعادية مستمرة فى مسار التطور والنّماء الإنسانى، ولا يرغب الإنسان فى الحرب والعنف لكونه حالة شاذة معاكسة للحالة الطبيعية وهى السلام، ولا يتماشى مع الازدهار والرقى الإنسانى، وفى الحقيقة إنَّ السلام لا يشعر به ولا يعرف قيمته النفسية والروحية والاجتماعية والمادية إلا من عاش ويلات الحرب وقذاراتها. والسلم والسلام هو شرط وضرورة قصوى وركيزة أساسية لأى تطور وازدهار ونماء ورقى إنسانى فى جميع جوانبه المادية والأخلاقية.

والألفة السياسية لها دور فى إحلال السلام العالمى الذى يدعو إلى وقف جميع الأعمال العدائية بين جميع الأفراد، ويشير إلى نهاية دائمة للحروب العالمية والإقليمية مع حل الصراعات فى المستقبل من خلال وسائل غير عنيفة، والسلام العالمى هو التمثيل الأعلى للحرية والطمأنينة والسعادة بين جميع الدول أو الشعوب وبين جميع أبناء الجنس البشرى، فكافة الشعوب تطمع بأن تكون دولتهم مليئة بالسلام.

والجدير بالذكر أنَّ الألفة السياسية لا يمكن أن تتحقق إلا بين أفراد المجتمع الإيمانى فى ظل إمام عادل، يتمكن من زرع روح المحبَّة والارتباط بين القلوب، الذى يؤدى بدوره إلى إيجاد هذه الألفة، وهذا ما حققه رسول الله(ص) عندما بذل كافة جهوده فى سبيل إيجاد المقدمات التى تجعل الله تعالى ينعم على

---

١. الحلى، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج٥، ص٢٥٢.

المجتمع الجاهلى بالألفة السياسية فى بداية الدعوة الإسلامية.

والحال أنَّه لا توجد ألفة خارج إطار الروح الإيمانية ومفهومها ومبدئها. وإذا فقدت جماعة قدرتها على التوصل إلى قاسم إيمانى مشترك، لا يمكن تحقيق الألفة السياسية التى دعى لها القرآن الكريم، وأوجدها رسول الله(ص) بفضل الله ومنِّه.

كما لا يمكن تحقيق السلام العالمى مع وجود العنف والتطرف والتكفير، ومع عدم وجود الألفة السياسية التى تدعو إلى الأخوة والمحبَّة والوحدة والإنسجام والتآلف بين قلوب.

لذلك حرص الرسول(ص) على إيجاد هذه الألفة بين الأطراف المتخاصمة عندما صالح بين المهاجرين والأنصار، وجعل رابطة الإخاء ورابطة الدين بدل رابطة القبيلة والعصبية القبلية، وألَّف بين قلوب الأوس والخزرج بفضل الله ومنِّه، بعد أن كانت الحروب طاحنة بينهم، كما أنَّ الرسول(ص) أخذ يؤلف بين قلوب المسلمين، بل وغير المسلمين من خلال إعطاءهم سهم المؤلفة قلوبهم من الزكاة؛ وهذا يعنى أنَّ المسيحى أو اليهودى أو الملحد الذى تعرض لأزمة مالية أو اجتماعية أو نفسية هو من المؤلفة قلوبهم، يجب أن يُعطوا من الصدقات، فالمؤلفة قلوبهم لهم نصيب من الزكاة بالنص والإجماع.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. نهج البلاغة، خطب الإمام علی(ع): تحقیق الشیخ محمد عبده، مطبعة النهضة، دار الذخائر، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٢ه ـ ١٩٩١م.

٣. ابن العربی، محمد بن علی، أحكام القرآن، تحقیق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، بیروت، د.ط.

٤. ابن زكریا، أحمد بن فارس، معجم مقاییس اللغة، تحقیق عبد السلام محمد هارون، د.ط، ١٤٠٤ه.

٥. ابن عابدین، محمد أمین، حاشیة رد المحتار، تحقیق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بیروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٦. ابن منظور، جمال الدین، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم المقدسة، ١٤٠٥ه.

٧. الأردبیلی، أحمد بن محمد، زبدة البیان فی أحكام القرآن، تحقیق محمد الباقر البهبودی، المكتبة المرتضویة لإحیاء الآثار الجعفریة، طهران.

٨. أمین، إمیل، دور الأدیان فی سیادة مفهوم السلام العالمی، مجلة التفاهم، العدد السابع والثلاثون، السنة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٩. البخاری، محمد، صحیح البخاری، دار الفكر، بیروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٠.التیجانی، عبدالقادر حامد، أصول الفكر السیاسی فی القرآن المكی، دار البشیر للنشر والتوزیع، عمان، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١١.الحلی، الحسن بن یوسف، تذكرة الفقهاء، مطبعة مهر، مؤسسة آل البیت(ع) لإحیاء التراث، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٤هـ

١٢.الراغب الأصفهانی، الحسین بن محمد، المفردات فی غریب القرآن، دفتر نشر الكتاب، ط٢، ١٤٠٤هـ

١٣.رضا، محمد رشید، تفسیر المنار، دار المنار، مصر، ط٢، ١٣٦٨هـ

١٤.الریشهری، محمد، موسوعة الإمام علی بن أبی طالب(ع) فی الكتاب والسنة والتاریخ، دار الحدیث، قم المقدسة، ط٢، ١٤٢٥هـ

١٥.الصدوق، محمد علی بن الحسین، التوحید، تحقیق السید هاشم الحسینی الطهرانی، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین، قم المقدسة.

١٦.الطباطبائی، محمد حسین، المیزان فی تفسیر القرآن، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة

المدرسين، قم المقدسة، د.ط، د.ت.

۱۷.الطبرسی، الفضل بن الحسن، تفسیر مجمع البیان فی تفسیر القرآن، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بیروت، ط۱، ۱۴۱۵هـ ـ ۱۹۹۵م.

۱۸.الطریحی، فخر الدین، تفسیر غریب القرآن، تحقیق محمد کاظم الطریحی، انتشارات زاهدی، قم المقدسة، د.ت.

۱۹.طنطاوی، محمد، التفسیر الوسیط للقرآن الکریم، القاهرة، ۱۴۰۶هـ ـ ۱۹۸۵م.

۲۰.عبدالله بن حمید، صالح، نضره النعیم فی مکارم أخلاق الرسول الکریم، دار الوسیلة، جدة، ط۴، ۱۴۲۶هـ

۲۱.الغرناطی الکلبی، التسهیل لعلوم التنزیل، الدکتور عبد الله الخالدی، شرکة دار الأرقم بن أبی الأرقم، بیروت، د.ت.

۲۲.فروند، ژولین، سیاست چیست؟، ترجمة عبدالوهاب أحمدی، نشر آگه، ۱۳۸۴ش ـ ۲۰۰۵م.

۲۳.القرطبی، محمد بن أحمد، الجامع لأحکام القرآن (تفسیر القرطبی)، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، ۱۴۰۵هـ ـ ۱۹۸۵م.

۲۴.المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بیروت، لبنان، ط۲، ۱۴۰۳ه ۱۹۸۳م.

۲۵.المصطفوی،حسن، التحقیق فی کلمات القرآن الکریم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامی، طهران، ط۱، ۱۴۱۷هـ